

رمزية الرحلة في الخطاب الصوفي المعاصر، رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان أنموذجا

The Symbolism of Journey in Contemporary Sufi Discourse: "A Small Death" by Mohamed Hassan Alwan as Exemplar

حليمة قاجوج¹، كمال بولعسل²

مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة، كلية الآداب واللغات

¹ جامعة جيجل، (الجزائر)، halima.kadjoudj@univ-jijel.dz

² جامعة جيجل، (الجزائر)، kamel.boulassel@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/01/20 تاريخ القبول: 2024/10/09 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى تتبع مواطن التعالق الجمالي بين الخطاب الرحلي والخطاب الصوفي، في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان، والهدف من ذلك يتمثل في الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بهذه التوليفة الجمالية الجامعة بين مختلف الخطابات الواقعية والعجائية، ومدى إسهامها في إعلاء شأن الكتابة الروائية المعاصرة، حيث يتم التركيز على استقراء أنساق الرواية الداخلية، من أجل تأكيد فرضية نقدية ترى أن "الرحلة" ركن لا بد منه في تشكيل اللبنة الداخلية للرواية الصوفية المعاصرة. كلمات مفتاحية: الرمز؛ الرحلة؛ الخطاب الصوفي؛ الرواية العربية المعاصرة، البعد العجائي.

Abstract:

This research delves into the aesthetic interplay of travel and Sufi discourses in Mohamed Hassan Alwan's novel, "A Small Death." It aims to evaluate the impact of this fusion on contemporary novel writing, focusing on the integration of realistic and mystical discourses. The study explores how "the journey" serves as a cornerstone in shaping intrinsic elements of contemporary Sufi novels.

Keywords: Symbolism, Journey, Sufi Discourse, Contemporary Arabic Novel, Fantastical Dimension.

المؤلف المرسل: حليمة قاجوج، الإيميل: halima.kadjoudj@univ-jijel.dz

1. مقدمة:

نظرا للتطور الملحوظ في طريقة كتابة الرواية العربية المعاصرة وتلقيها، انبثق مفهوم جديد لهذا الجنس الأدبي، بحيث أصبح «اختراقا لا تقليدا، استشكالا لا مطابقة، إثارة للسؤال لا تقديم للأجوبة، ومهاجمة للمجهول لا رضا عن الذات بالعرفان» (شبهون، 2010، صفحة 18)، وما من شك في أن هذا التحول الشكلي، إنما ارتبط بالتطور الحضاري الذي عايشته المجتمعات المعاصرة في ظل هيمنة التكنولوجيا والعولمة وسيطرة الخطابات الإيديولوجية التي تقدس الفرد بدل الجماعة، وتدعو إلى ضرورة التغيير كضمان لسيروية الجنس الأدبي وانفتاحه، ولا يتأسس ذلك إلا بوعي جديد وطرائق سردية جديدة تسعى إلى سبر أغوار الكتابة، كما تتخلى عن المزاعم النظرية القديمة، وتختار المسار المنعرج الحام للدلالة القلق والخوف طريقاً لها، بدل المسار المستقيم الواضحة مسالكه وطرقه.

وقد لا نجانب الحقيقة إذا اعتبرنا أن هذا الهاجس الإبداعي ظل وسيظل ملازما لجميع الحركات التمردية القادمة، التي ترنو إلى تجريب تقنيات جديدة في الكتابة الإبداعية، والتي ظهرت ماثلة للمتلقي في تقديم حكاية وعي الكاتب نفسه «في محاولته لاكتشاف ذاته ومساءلة أدوات وطرائق إبداعه، بما يجعل الكتابة نوعا من اللعب المبدع الواعي المحتفي بالكتابة ذاتها على حساب المكتوب عنه، وهو ما يبرر غياب الحكاية على النحو التقليدي، وهو ذاته ما جعل البعض يتهم الرواية الجديدة بأنها لا تنتمي لعالم الرواية نتيجة لهذا الغياب» (الضبع، 2010، صفحة 21)، فالتجريب الروائي يستلزم وعيا أدبيا بآليات الكتابة المعاصرة سعيا لتأسيس قاعدة متينة، تركز عليها الكتابة الجديدة في قيامها، كنموذج للممكن والمستقبل.

وقد تعددت مظاهر التجريب في الرواية وانقسمت إلى اتجاهات مختلفة، جنح بعضها نحو الحداثة الغربية، فاستلهم نماذجها التعبيرية، وأدرجها بين تعاريج نصه المعاصر ومتاهاته اللغوية، وجنح البعض الآخر نحو التراث العربي بمفاهيمه ومركزاته القبلية، فانتهى مآثر السلف وما جاء في التاريخ من أحداث سياسية ودينية راسخة، صورت مأساة الإنسان العربي وأحلامه المشتتة، وقام على إثرها بخلق عوالم تخيلية، تحاول تفسير الواقع المعاصر وما آلت إليه الحياة في ظل غياب العدالة والقيم. وكان من نتائج ذلك الاستلهام أن ظهرت الرواية الصوفية، التي تحاول أن تعالج الواقع، باستدعائها العوالم الخاصة بالشخصيات الصوفية

وتحولاتها الدائمة، فتستقي تبعاً لذلك من الدين مادتها الخام، ومن الخطاب الرحلي وسيلتها للتعبير عن رحلة الصوفي إلى عوالم مختلفة تجمع بين الرحلة الحقيقية والرحلة الاستيهامية لتأسيس عالم منفرد الدلالة، يسعى إلى تصوير الواقع في مثاليته الوجودية كما تم له ذلك في بدايات الخلق والتكوين.

وتماشياً مع هذا، ستحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بهذا التركيب المزدوج بين الخطاب الصوفي والخطاب الرحلي في الرواية العربية المعاصرة، ومدى إسهامه في إعلاء شأن الكتابة الروائية؛ وذلك بالتركيز على كشف الجمالية المتخفية وراء تداخل أجناس بعينها داخل الرواية الصوفية المعاصرة، عن طريق تفكيك تلك البنى التركيبية الدالة، لتوضيح مدى ارتكاز الرواية الصوفية على الخطاب الرحلي؛ باعتباره عنصراً مهيمناً يقوم عليه التصوف كفكرة أولاً ثم كـمعتقد راسخ في ذهن كل صوفي ثانياً، عبر الاشتغال على عينة روائية معروفة، استنجد صاحبها بالخطاب الرحلي لفضح وكشف المستور من الدلالة، التي تحاول التملص من قيود التاريخ، عبر تعمية الحقائق وتزييفها، هي رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان.

2. أدب الرحلة والتصوف بين الإسراء الجسدي والمعراج الروحي:

خلق الله الإنسان وكرّمه، حتى أنّه سخر له المخلوقات المختلفة التي تعينه على التأقلم والتجاوز، وبثّ فيه غريزة البقاء والحركة، وأمدّه بالعقل الذي يدعوه إلى التفكير والتدبر والبحث عن الحقيقة، ووهبه الجسم القادر على التحمل والتحرك والاكتشاف، فكان يجوب الأرض والبقياع، باحثاً أول الأمر عن الطعام والشراب، ثم تملّكته الرغبة في السيطرة وحبّ التملك، فأخذ يفتح الأقطار والأمصار، تاركاً بصمته في كل مكان يلجأ إليه، خاضعاً لسلطة نفسية تدعوه دائماً إلى الترحال، واكتشاف أساليب عيش مختلفة وغريبة، تلك المشاهد التي تجذبه دائماً نحو العجيب من المغامرات، وتستفز قريحته الأدبية للكتابة عنها وتصويرها وبثها للقارئ، فأنتج لنا إبداعاً أدبياً، يتسم بالموسوعية والأدبية والذاتية، أطلق عليه في عرف النقاد اسم "أدب الرحلة".

وقد تمّ استحداث هذا النوع من الكتابة استجابة للحاجة الملحة إلى تدوين وتوثيق المسالك والأقاليم وتضاريسها، تسهيلاً وتمهيداً لرسم خرائط كونية واسعة، تصف معالم تلك الأقاليم وعادات وطباع

شعوبها، وما فيها من آثار وعجائب، بأسلوب قصصي سلس وممتع، يمتح من الثقافة العربية الواسعة، ولغتها الفصيحة، حتى أنّ الكاتب يعتمد في معظم شأنه «الأناقة في تحيّر الألفاظ، وصياغة العبارات، وتنسيق الفصول، لأنّ الإثارة في الرحلة متأنية من جمالية الوصف للواقع، وبلاغة السرد الفني للمغامرة الإنسانية، والعواطف المحركة لجموع أحاسيس البشر» (جميلة، 2020، صفحة 199)، وقد تتداخل ذاتية الرحالة مع التجربة الإنسانية المعاشة، فيظهر ذلك بارزا في جسد الكتابة، عبر استذكارات مستمرة لوقائع وتجارب مطبوعة بلمسات ذاتية، تستقيح الحسن وتستعذب القبيح، توافقا ونظرة الرحالة للتاريخ والآخر.

وغالبا ما يستجير الرحالة للدفاع عن ذاتيته تلك بالمقارنة واستجماع الملاحظات، عبر تتبع مواطن الضعف والقوة، ويظهر ذلك عن طريق استجلاب النصوص الشارحة، وتقييدها، فينتج بهذا نصا موسوعيا، يمتح من مختلف الفنون والعلوم، وهذا ما يخلق هجنة الكتابة، التي تتدفق كالسيل بين تعاريج النصوص الرحلية وسطورها، فتحطم القيود الفاصلة بين الأجناس الأدبية، وتشكل لنا عالما متجانسا الأطراف، متعاليا ومنفتحا ومتجاوزا كل القوانين التي تدعو إلى المحافظة على الحدود الفاصلة بين مختلف الفنون، والتي تضمن استقلالها وتميزها عن غيرها من النصوص الأدبية. هذا التناص والتداخل شكّل في الدراسات المعاصرة طفرة نقدية، نتيجة ظهور أجناس أدبية جديدة، تتقارب وجنس الرحلة في مقامات لغوية وأسلوبية عدّة كالرواية والقصة.

فالجمع بينها في سياق أدبي واحد، يستدعي الكثير من الأسئلة، خاصة وأنّ الرواية جنس خيالي، يستنجد بطاقة الكاتب الخيالية، فيعيد صياغة الواقع بنسيج لغوي جديد، ولكنه ليس هو ذاته، كما هو الأمر مع الرحلة «التي تحكي عالما حقيقيا وتصف أحداثا واقعية ودقيقة لا مجال للشكّ فيها، ولا دخل للخيال في ذلك بل إنّها الواقع ذاته تلتصق به وتتماهى معه وتحكي عنه وبه ولكنها لا تحاكيه» (قادة، 2021، صفحة 219)، ولكن هذا لا ينفي وجود بعض الملامح العجائبية التي تثري النص الرحلي وتزيده مرونة، إذ أنّ خطاب المتخيّل يتمظهر عبر تنوع حضوره بين حلم غريب ومشهد عجيب، وقد تحوّل واقعية الرحلة المفرطة أحيانا النص إلى «شهادات توثيقية تميل لأن تصير رسائل في التاريخ والجغرافيا والاجتماع وما يتفرع عنها، وذلك بالتركيز على الأوصاف والأمكنة، وعلى استعادة الأحداث والوقائع» (شعيب،

2002، صفحة 372) فيحاول الكاتب جهده استمالة القارئ عن طريق الجمع بين الحقيقة والخيال، والمزج بينهما لتشكيل عالم سردي، يتقارب والرواية في نقاط أدبية عدّة.

هذا التقارب إضافة إلى توليده أسئلة نقدية شائكة، يحاول إضفاء جمالية نوعية خاصة، يمتزج فيها الواقعي بالخيالي، والحقيقة بالكذب، فيتشكل على تخوم ذلك جنس أدبي هجين، يأخذ من كلا الجنسين (أدب الرحلة/ الرواية)، ويضفي عليهما لمسته الخاصة، التي يطغى عليها الملمح الصوفي التطهيري على حساب النزعة العجائبية الخارقة، خاصة مع الروايات المعاصرة التي تنحو منحى الاسترجاع النفعي حدّ التماهي مع التراث العربي القديم، وهذا يحيل في بعض تفسيراته إلى وجود أزمة هوياتية ووعي عربي محتقن، نزع لإثبات ذاته إلى أمجاد تاريخه الأدبي، وراح يمتح من كل جنس ولون، ليشكل رواية عربية جديدة تدافع عنه بالقدر الذي يدافع هو عنها.

وعليه استثمر الروائيون الجدد عنصر الرحلة في سرودهم الروائية المعاصرة بأشكال مختلفة «وطرائق مغايرة للتعبير والتنويع في التشكيل، باعتبار هذا العنصر رئة يتنفس منها المتخيل ويجدد في الصوغ ما أمكن» (شعيب، 2002، صفحة 110)، إذ اتخذت الرحلة وضعيتها داخل بنية الكتابة السردية المعاصرة وفق بنيتين مهيمنتين هما (شعيب، 2002، صفحة 97):

- أ. بنية رحلية في الزمان والمكان تتعين بالانتقال الفيزيقي من مكان إلى آخر، تتخللها أحداث هي امتداد للفضاء الأول، أو أحداث عارضة دخيلة هي الحافز والمهيمن في الحكي.
- ب. بنية رحلية في الذاكرة تفتح نحو الخيالي، فيرتبط الزمان والمكان والأحداث بأبعاد فوق طبيعية خارقة تكسر مألوفية تلك المكونات.

هذه البنية الأخيرة نجد لها حضورا قويا في الروايات التي تتخذ منحى صوفيا في تفسيرها للظواهر الكونية والاستيهامات فوق الطبيعية، إذ تجمع هذه الروايات بين الحضور الفعلي الذي يجسده سفر الأبدان بين تخوم المادة، والغياب العقلي المؤقت تحت تأثير الخمرة الصوفية، والذي يظهر بين تجاعيد الذاكرة في سفرها الدائم إلى مقامات عليا، تجعل شخصية المتصوف غارقا في غيبوبته، لا يعرف من الكون شيئا سوى

ما يشعر به في تلك اللحظة الكونية؛ غيبةً تكسر قيد الماضي والحاضر والمستقبل، ليتلذذ السكاري بنشوة التلاقي الروحي، فهي خمرة معنوية، على خلاف الخمرة الحسية، الأولى غيبة أزلية تشربتها الأرواح الطاهرة، والثانية غشبية مؤقتة لا تلبث أن تزول بعودة عمل العقل إلى سابق عهده. وقد استثمرت تلك الروايات عنصر "الرحلة والسفر"، لإدراكها الأهمية البالغة التي يتمتع بها في توسيع حقول المعنى «وإضفاء طابع الحركية على الأحداث من أجل تجديد أنفاس الحكيم وإمكان خلق إغرابية تطبع هذه النصوص» (شعيب، 2002، صفحة 96)، وتلفها بغلالة الغموض والمغامرة، التي تزيد من حدة الصراع بين الشخصيات الروائية أثناء سفرها إلى المجهول في الزمان والمكان.

وتحقيقاً لهذا المسعى تحاول هذه المقالة تتبع مسار الرحلة في الروايات الصوفية المعاصرة، عبر اختيار عينة روائية معروفة، استنجد صاحبها بالخطاب الرحلي لفصح وكشف المستور من الدلالة، التي تحاول التملص من قيود التاريخ، عبر تعمية الحقائق وتزييفها، ولعل العتبة النهائية التي تجملت بها رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان، هي من أشعلت فتيل الرغبة في استظهار العلاقة الكامنة بين الخطابات المتقاربة في طريقة بسطها للحقائق واستنطاقها، إذ يقول المؤلف: «منذ أوجدني الله في مرسية حتى توفاني في دمشق وأنا في سفر لا ينقطع. رأيت بلاداً ولقيت أناساً وصحبت أولياء وعشت تحت حكم الموحدين والأيوبيين والعباسيين والسلاجقة في طريق قدره الله لي قبل خلقي. من يولد في مدينة محاصرة تولد معه رغبة جامحة في الانطلاق خارج الأسوار. المؤمن في سفر دائم. والوجود كله سفر في سفر. من ترك السفر سكن، ومن سكن عاد إلى العدم» (حسن، 2016، صفحة 593)، ولعل المتلقي يتفاجأ هنا أمام تداخل الخطابات وتشابكها، إذ تعد هذه الرواية إضافة إلى جمعها بين الخطاب الرحلي والروائي سيرة غيرية للشيخ الأكبر "محي الدين بن عربي"، المعروف بأسفاره وتنقلاته عبر مدن وأقاليم مختلفة، كل هذه التوليفة الجمالية تشد الباحث إلى استنطاق الأنساق الكامنة داخلها، للتعرف أولاً على الأدب الصوفي، ثم تتبع مراحل التداخل الإيجابي بين الرحلة والرواية في الخطاب الصوفي المعاصر.

3. الرواية الصوفية بين جمالية اللغة الرمزية وسلطة الخطاب الرحلي:

جادت أقلام الرواة والمؤرخين واجتهدت في استظهار دلالة التصوف وتتبع تاريخه الحافل بالمستجد والمتغير منذ ولادته كتوجه فكري، عبر تتبع مصادر كتابته وتوثيقه، عند كبار المتصوفة من أصحاب الطرق والمذاهب المشهورة، وقد أظهروا خلال ذلك العديد من التعريفات المختلفة، ولكنها تصب في منبع واحد، ينتصر لكماليات الفطرة والتسامي الإنساني على كل النواقص الجسدية، فالتصوف في أبسط تعريفاته انفكاك قهري من سلطة المادة، ونزوع فطري إلى الكمال والارتفاع، حيث التقاء الأرواح وتشربها من معين الحقيقة الإلهية المطلقة، ولا يكون ذلك إلا عبر التدرج في مقامات وأحوال، يشهدها الصوفي كلما أخلص في تقييد نفسه الأمارة، وعصيانها فيما تستدرجه وتغلبه من تسلية وانشغال.

يرى محمد عبد المنعم خفاجي أنّ التصوف علم تُعرف «منه أحوال النفس في الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتّها لتطهيرها من الصفات المذمومة والذائل المعنوية، التي ورد الشرع باجتنابها والتمسك بضدها من الصفات المحمودة التي طلب الشرع تحصيلها وكيفية السير والسلوك إلى الله تعالى على قدم الإخلاص والصدق والفرار إليه من نقائص الخلق» (المنعم، د.ت، صفحة 28)، وهذا التعريف يركز في مجمله على المضمون الديني الذي يدعو إليه هذا التوجه الفكري، فهو يؤكد على فكرة الاجتناب والتطهر من صفات خُلقية، متفّق على فسادها وانحطاطها، في مقابل التحلي بصفات تسمو بالروح الإنسانية إلى آفاق عليا، لن يصل إليها الصوفي إلا بالمجاهدة والصبر على فعل الطاعات، واجتناب الأهواء.

وقد نزاح قليلا عن هذا المفهوم الديني إلى تعريف أشبه ما يكون بالاعترافات الرومانتيكية، إذ يركز قائله على مسلّمة فكرية ترى أنّ التصوف "علم" يُبحث فيه «عما يلزم في التصوف من المقامات والأحوال والمحبة والعشق والفرق والجمع وما أشبه ذلك» (إبراهيم، 2014، صفحة 7)، عبر استظهار مواطن التلاقي بين طهارة الروح وشبقية الجسد، ولا يكون ذلك إلا بتتبع مسار الغزل الإلهي لتفسير حالات الوجد والشوق التي يعانيتها المتصوف جزاء انعدام الوصل، ونأي الحبيب وبعده، ونقصه بالحبيب هنا الذات الإلهية وصفاتها الكاملة والمطلقة، جاعلا من الأنثى مركز دائرته، يحملها أحاسيس شقائه وعذابه،

مستعملا في ذلك لغة رمزية خاصة تحيل إلى الخطاب الصوفي، لأن التجربة الصوفية بحد ذاتها غامضة «لا يمكن التعبير عنها تعبيرا دقيقا ولا شافيا بليغا، وبالتالي تصير الإشارة هي الأقرب لأنّ مداليلها غير محدودة. وبالتالي لا يكون الرمز إلا بأساليب حوافّ منها التلميح والكناية والاستعارة.. لا يدركها سوى صاحب الذوق ومن ألف التصوّف ونزعاته» (أسماء، 2014، صفحة 23)، وليس بغريب أيضا أن تضفي هذه الرموز وشاحا لفظيا غريبا تطبعه بتعتيم معنوي مستغلق الدلالة على من لم يألفه.

هنا بدأت تتشكل ملامح خطاب صوفي مستقل، وإن استعان بمفردات اللغة الأم، للتعبير بمستغلق الدلالة عن «العوالم الخاصة بالشخصيات الصوفية وتحولاتها وتدرجها في مراتب الارتقاء، تحاول في الوقت ذاته أن تستثمر ما في هذه العوالم من جماليات خاصة تفرضها التجربة الذاتية والجماعية للمتصوفين، بداية باللغة الصوفية وما تكتنزه من رموز وأسرار، لا يفقهها إلا أصحاب الخبرة وأصحاب الميدان من أهل المذهب» (عثمان، 2020، صفحة 227)، ويرجع هذا في الأساس إلى القيمة الرمزية التي بمنحها المتصوف للكلمة أو الجملة أو النسق النصي ككل، حتى تتشكل صورة رمزية مكتملة الملامح، تسعى إلى تأكيد ذاتها داخل النص باعتباره معطى رمزي اجتماعي؛ فالرمز من أبرز الوسائل التعبيرية استخداما في الكتابة الصوفية، كون اللغة أداة رمزية بامتياز، ترنو إلى مراوغة القارئ دون أن تفصح مباشرة عن المعنى، حيث تعمل على توريثه في متاهة لغوية معقدة، قد ينجح القارئ في تفكيك بعضها، وتخور طاقته النقدية أمام مدلولات أخرى، وهذا يرجع إلى الحمولة المعرفية التي تزخر بها مثل هذه الخطابات المتأرجحة بين الإيضاح والإبهام، التصريح والتلميح، الإفصاح والكتمان.

وتدخل ضمن تلك الخطابات ذات المنبت الصوفي "الرواية الصوفية" بما ترسمه من أحداث ومشاهد، تحاول استظهار ما خفي من هذا المذهب، واستدكار خصائصه ومركزاته الفكرية، فهي جنس أدبي «موصوف بمذهب فكري وديني ومعرفي (الصوفية) (...) تطرح، في بنائها التعبيرية وأساليب تشكيل رؤيتها الفنية والموضوعية، مفهومات فكرية ودينية، بل تمثل فلسفته في الوصول إلى الحقيقة والسعادة والكمال، فهي أدب معرفي أو من قبيل تحميل الأدب بإيديولوجيا، والنظر في أنظمتها المجردة والمستورة في طروحات مصنفات الصوفية الكثيرة» (ناهضة، د.ت، صفحة 19)، فتستقي من تلك الكتب مادتها للتعبير

عن الواقع المعيش، وتصوير العالم تصويراً إثنوغرافياً، تحكمه المشاهدة العينية والوصف الدقيق لمنابع الفكر المنقوشة في سطور الكتب المرقعة والمذهبة، ومجالس العلم المنتشرة بين أوساط الخوانيق والمساجد.

وقد تستجير الرواية الصوفية بالعديد من الخطابات البينية، لتجسيد رؤية كونية صعبة الإدراك والتجلي، لاعتبارات عدّة، أهمها اللغة الفاصلة بين معنيين، أحدهما ظاهر سطحي تحتويه القراءة التعيينية الأولى، والثاني مخفي باطن تستحضره الرسالة التضمينية المتخفية وراء جدار لغوي سميك، إضافة إلى ذلك يحاول هذا النوع الروائي إنشاء علاقات أدبية بين مجموعة من الأجناس الأدبية، التي تساعده على حمل الدلالة وتفكيكها، كالشعر الصوفي الذي يتقن خلق أيقونات دالة معبرة بدقة عما يختلج نفس الصوفي في لحظة كونية خاطفة، تتخطى عتبات الزمان والمكان، يتم فيها تصوير مشهد الحلول والاتحاد شعراً غامضاً مبهم المعاني، تتسلل من خلاله، مشاهد اللذة (الخمر)، والشوق (الغزل)، والتأمل الوجداني (الطبيعة)، هذا كله من أجل تحديد العلاقة الموجودة بين الإنسان وربّه.

كما تستمد من الخطاب الرحلي مادتها للتعبير عن رحلة الصوفي إلى عوالم تخيلية مختلفة، يحاول من خلالها فهم الكون والتأمل في القدرة الإلهية، ويتجسد ذلك داخل الرواية عبر الرغبة المتنامية في صدر الشخصية الصوفية المتأهبة للرحيل، إلى فضاءات علمية مختلفة، يلتقي خلالها بأصحاب الطريقة من الأولياء الصالحين الذين ذاع صيتهم في العلم والخلق الحسن، لأخذ العلم واكتساب المعارف الصافية، ثم التيهان في الأرض، رغبة في الانعزال والتعبد، بعيداً عن ضوضاء العالم الخارجي، وهتافات الناس المعبرين عن مشاعرهم المضطربة بين التقديس تارة والتدنيس تارة أخرى، أما عن الرحلة التخيلية فهي التجول في ملكوت العالم الآخر، ويتم التعبير عن ذلك من خلال الأحلام والحوارات المتعددة بين الصوفي ونفسه في خلواته المتكررة. وسنحاول فيما يأتي تناول تلك الرحلات بشيء من التفصيل، لتوضيح مدى ارتكاز الرواية الصوفية على الخطاب الرحلي باعتباره عنصراً مهيماً يقوم عليه التصوف كفكرة أولاً ثم كمعتقد راسخ في ذهن كل صوفي ثانياً، من خلال استقصاء مواطن التلاقي بين الخطاب الروائي والخطاب الرحلي في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان.

4. استحضار الخطاب الرحلي في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان:

رواية "موت صغير" هي سيرة روائية متخيلة لحياة الشخصية الصوفية المشهورة "محي الدين بن عربي"، تناولت حياته بشيء من التفصيل منذ ولادته في الأندلس وحتى وفاته في دمشق. تختبر الرواية سيرة حياة وليّ صوفي اعتاد الرحيل والسفر منذ نعومة أظافره، بداية بالأندلس غربا وحتى أذربيجان شرقا، مرورا بالمغرب ومصر والحجاز والشام وتركيا، يواجه خلالها البطل تغيرات مفصلية في تاريخ العالم العربي في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، والتي تناولها الراوي بالكثير من النقد والتحليل، كأبي أديب صوفي رحالة، يقتنص الفرصة لوصف المدن والعمران والخوانيق، ليؤدي رسالته في كنف رحلة أدبية متخيلة، يستذكر فيها أمجاد السابقين، ويحتفل بذكر آثارهم الخالدة، والتي تبرز عيانا كلما مرّ بمدينة أو حاضرة إسلامية قديمة المنشأ والأصول.

وقد ارتكزت أحداث هذه الرواية على عنصر الرحلة، باعتباره نسقا نصيا مهيمنا على كامل أجزاء الرواية الداخلية، بداية من العنوان الذي يعد انتقالا مؤقتا من عالم حقيقي واقعي ملموس إلى عالم خيالي أسطوري مجرد، يدركه الصوفي بأساليبه الدعوية الخاصة، فيكتب عنه بلغة رمزية غامضة، يستدرك من خلالها المشاهد الروحانية التي غزت عالمه الداخلي، فيما يمكن أن نطلق عليه مصطلح "البرزخ الصوفي"، إذ ينتقل الصوفي في معراج روحاني إلى آفاق سماوية متعالية، بشرط أن يبقى الجسد في حالة سكون وموت صغير، وتجري كل تلك الأحداث في خطافات زمنية سريعة، لا تلبث أن تزول بتلاحم المجرد مع المحسوس. وتتمثل الرحلة كذلك في انتقال البطل (ابن عربي) من مكان نشأته ومربع طفولته إلى مدن وأقاليم أخرى بغرض اكتشاف الأوتاد الصوفية الأربعة، والظفر بتبادل الخرق الصوفية كعادة المتصوفة عند لقاء الأحبة والمريدين من أهل الطريقة والمذهب. فالجمع هنا يكون بين رحلتين؛ رحلة واقعية عبر الأقطار والأمصار، وأخرى خيالية عبر التدرج في مقامات صوفية متعالية، وما سنقوم به في الصفحات التالية هو تتبع تلك الرحلات لاكتشاف تظاهرات الرحلة في الخطاب الصوفي المعاصر؛ والمتمثل هنا في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان.

1.4. الرحلة عقيدة صوفية راسخة:

يحاول المتصوف إضافة إلى انشغاله بالتفقه والتعلم الديني الأخذ بتلاييب اللغة الصوفية وتفكيكها، لإدراك معناها إدراكاً نفعياً، يؤهله لاكتساب مهارات صوفية جديدة، ولا يتأتى له ذلك إلا بملازمة أهل الاختصاص، فيتحتّم عليه حينذاك شدّ الرحال إليهم عبر السفر المتواصل بين الأقاليم والمدائن، يأخذ من هذا وذاك حتى يرتوي من نبع المعرفة المطلقة، ويكتشف آفاقها ويرتاد مجاهلها، وبهذا يصبح السفر عقيدة نفسية راسخة في ذهن كل صوفي مريد، وقد عبّر الكاتب عن هذه العقيدة في قوله: «ثمة أسير في صدري يريد أن ينطلق، شمسٌ تنتظر أن تشرق، قافلةٌ تتوق لأن ترحل» (حسن، 2016، صفحة 107)، وقد نستحضر قولاً آخر يدعم هذه الفكرة ويدعو إليها، وذلك حين نطق الكاتب على لسان ابن عربي: «لا بدّ من السفر كي نستجلب العبر، والمؤمن في سفر دائم، والوجود كله سفرٌ في سفر (...) ألا يعلم أن من ترك السفر سكن، ومن سكن عاد إلى العدم» (حسن، 2016، صفحة 454)، إذن فالصوفي يعتقد اعتقاداً راسخاً أن السفر ضرورة حتمية، لا بدّ منها لإدراك كينونة الوجود ومعرفة سر الخليقة الأولى، والتي تتجلى في الآيات المتناثرة على طول مسار الصوفي.

وقد تتشارك الأغراض والبواعث التي تدفع بالمتصوف إلى إعداد عدّة السفر والانتقال من مكان الألفة إلى مكان الغربة، وهي في الرواية مختلفة ومتعددة، كانت بدايتها الخروج المجازي من برزخ الحقيقة (قبل الولادة) إلى عالم الشبهات (بعد الوضع)، ثم التهجير القهري الذي يصاحب سقوط العروش وانحيارها: «ضربت أمي صدرها وصاحت: يا إلهي! وسنرحل - إلى أين؟ - إلى إشبيلية. خصصت لنا أربع ركائب في القافلة المتجهة إلى إشبيلية (...) ملأني فكرة السفر غبطةً وسعادة ولهذا راقبت نقل المتاع من البيت إلى الركاب بنشوة وحملت منها بنفسني ما استطعت حملة حتى أفرغنا البيت وأوصدنا الباب» (حسن، 2016، صفحة 41)، فالسفر قبل أن يكون حقيقة فعلية أثبتتها سنن الحرب والهزيمة، كانت رغبة متنامية في فؤاد المتصوف ابن عربي، وتلك كانت خطواته الأولى نحو اكتشاف معالم دينية مختلفة، ووجوه نورانية جديدة، وخرق صوفية جليلة.

ورغم أن الرحلة اتخذت صفة إجبارية في حياة الرحالة أثناء طفولته، إلا أنها استولت على تفكيره طيلة فترة كهولته وشيخوخته، إذ يرى في السكون عدواً يجب الحذر منه، لأنه بوابة الهموم والخمول والضعف، ويرى في الرحلة منفذاً روحانياً للتخفيف عن النفس وانسراحها، فهي السبيل لإدراك المخفي واستخراج النفي من مكانه، عبر اكتشاف الذات في الآخر المختلف عنه ديناً وثقافة ولغة: «ضاق بي المكان وقررت أن أرحل. لا شيء يصرف عني همومي ويخفف عني شجوني إلا السفر. لم أعلم أن قراري العشوائي بالرحيل فتح عليّ تيهاً استمر ثلاث سنوات. خضنا في بلاد الله أنا وبدر بلا هدف. خرجنا من دمشق إلى حلب وحماة والموصل والرها وماردين وعدنا إلى دمشق مرة أخرى وخرجنا منها» (حسن، 2016، صفحة 385)، ونلاحظ في هذا القول اختزالاً ملحوظاً في أسلوب عرض الأمكنة، ولعل ذلك يرجع إلى اهتمام الكاتب بمنطق السفر دون استحضار تفاصيله، لتأكيد فكرة الانفصال المنهج بين أدب الرحلة والخطاب الروائي، فالأول يعمل على استجلاب جميع المشاهد، في حين يعمل الثاني على المروحة بين التلميح والتصريح والاختزال لشروط أدبية معينة.

2.4. الرحلة نزعة تطهيرية:

إنّ الرحالة في سعيه الحثيث نحو استجماع البراهين الإلهية واستخلاص الحقائق النورانية، يحاول تذكير نفسه بضرورة التعرف على مختلف الطرق والمذاهب الصوفية المشهورة، عبر الالتقاء بأصحابها ومريديها، لتثبيت قلبه أولاً ثم تطهيره من دنس الدنيا وملهياتها ثانياً، فيشد الرحال باحثاً عن أوتاده الأربعة، في سير حثيث وهمة عالية رغم بعد المسافة بين تلك الأوتاد، ثم تغيير الوجهة نحو المقابر؛ الفضاء المحبوب لدى كل صوفي مجذوب، لتطهير نفسه والتبرك بما أنعم الله على وليه من قبول وبركات. وعليه فسير الصوفي يكون لوجهتين، وجهة نحو الحياة، متمثلة في مخالطة الأولياء ونيل رضاهم، ووجهة نحو الأموات حيث الاستذكار والاستعبار والتبرك.

أما الوجهة الأولى، فقد قامت أركان الرواية على استظهارها واستكناه مدلولاتها، ولعل قارئ الرواية بعد استكمال فصولها يدرك حقيقة معنى الأوتاد، وهم شيوخ طريقة ومذهب، لهم صيت واسع في

الكرامات والزهد والتعبد، قام الصوفي ابن عربي بتتبع خطاهم منذ نعومة أظافره اقتداء بالوصية التي بالغت فاطمة العجوز بتحفيظها إياه: «ولما جاء دوري قالت فاطمة: ادنُ مني يا بني -ليبك يا أمه- في إشبيلية وتدنُ من الأوتاد الأربعة ولا شك. -ومن هم الأوتاد؟- أربعة يحفظون الأرض من السوء- وكيف أعرفهم؟ -هم يعرفونك وكيف أجدهم؟- هم يجدونك» (حسن، 2016، صفحة 42)، ولعل قارئ هذه الكلمات يعي جيدا تلك الرمزية التي تختفي بها تلك التساؤلات الصوفية، فهي لغة فلسفية لا يفهمها إلا من غاص في بحر التصوف وتشرب معانيه.

وتزداد هذه اللغة غموضا كلما التقى الصوفي بأنداده من زعماء الطرق الصوفية ومريديها، فيأخذ كل واحد منهم بقلب الآخر يذكره ويعظه موعظة الشيخ الأكبر، وهنا تتشكل علاقات روحانية، كان السفر بدايتها واللقاء جوهرها ومنتهاها، فيتم تبادل العمام والخرق تبركا وتعظيما للمراتب العليا التي وصل إليها القطب الصوفي في معراج الدائم: «ما طاف بخيالي يوماً أن خلع خرقة من ولي صالح ستورثني هذه الخيبة والإحباط. ولكني كنت أتمناه وتدًا لي. وما دام قد خلع خرقة فليس بوتد» (حسن، 2016، صفحة 205)، فنزع الخرقة دليل تفاوت علمي بين القطب ومريده، وهذه الدرجات لا يتسنى لغير الصوفي إدراكها، فهي رموز خاصة بأصحاب الذوق والإرادة المتسامية عن كل زيف أو خداع.

أما الوجهة الثانية، فهي مسار إلزامي، يتخطاه الصوفي كلما وصل إلى إقليم أو مكان مقدس في معتقده، فينزع بروحه نحو تلك الأضرحة استنجادا وتبركا بأصحابها، عساه يظفر بالقبول المحمود وينال بركة الشيخ ورضاه: «دخلنا فإذا به ضريح الحسين بن علي (...) فلما وقفنا أمامه وجدته أردد دون أن أعُدّ هذا الكلام أو أذكر أني قلته عند ضريح قبله: "السلام عليك يا حفيد حبيبي وربيبه، السلام على أخيك، وأملك وأبيك". وهبت نسمة هواء حركت القناديل المعلقة فانعكس ضوء أصفر على جبيني حتى شعرت بحرارته» (حسن، 2016، صفحة 283)، وهذا دليل على كثرة الزيارات التي يقوم بها الصوفي للأضرحة والمزارات من أجل استذكار ماضيه تارة والترحم على الأموات تارة أخرى.

3.4. الرحلة انتقال من المندس إلى المقدس:

كنا قد أشرنا قبل الآن أن الرحلة الصوفية تنقسم إلى مسارين؛ مسار حقيقي يتمثل في خوض غمار التجربة الجسدية، عبر السفر إلى المعالم المقدسة من أجل طلب العلوم، والتقاء الشيوخ من مختلف الأقطار والأمصار، لتبادل المعارف وتطهير النفوس والمشاركة في المناظرات العلمية التي من شأنها تغيير قناعات كثيرة متجذرة ومتأصلة في عقل الصوفي وقلبه، ومسار آخر ينجح نحو تتبع كل ماهو عجائبي وغريب، عبر الانتقال من المكون الترابي إلى المكون النوراني، وفق مراحل متتالية، في سفر دائم وترحال مستمر إلى عوالم روحية متعالية ومتسامية، يدركها الصوفي كلما تدرج في مقاماته وأحواله، ليعيش تجربة خاصة، ويحقق نوعاً من الكمال في رحلاته المتعددة، والتي يصعب على القارئ المبتدئ إدراكها وتفكيكها، كونها حالة مستعصية على الفهم والإدراك.

تبدأ بوادر ذلك السفر في الجنوح نحو العزلة والابتعاد عن الناس في الخوانيق والزوايا الدينية، إذ تحت العزلة على تصفية ذهن الصوفي من كل العوائق التي تكبح جماح نفسه المريدة، فتمنحها نوعاً من الاكتفاء الذاتي، والشجاعة على التملص من غواية الذات والآخر، إذ تعد منطلق الصوفي نحو مراتب عليا في سلم الترقى والتعالي، في آخر درجاته يتماهى العقل مع الآخر المطلق، ويشعر بنشوة التلاقي الروحي، فيطمح إلى الوصال مرة بعد مرة، في حركات غريبة تفضي إلى تلمات وتوسلات لا يفهم معناها إلا من عايش ذلك الشعور وخبر متاهاته: «أغمضت عيني ورحت أدور على نفسي. رفعت ذراعي عالياً وتركت لعقبي حرية تحديد مساري. شعرت بالدوار ولكني لم أتوقف. وكلما ازداد الدوار في رأسي ازداد صوت الرجل المسن وضوحاً حتى بدا وكأنه بجواري. درتُ ودرتُ ودرتُ وشعرتُ أني أرتفع عن صفحة الأرض وأسبح في ملكوت السماء» (حسن، 2016، صفحة 450)، فهي رحلة بملامح تخيلية جانحة، تسعى إلى تصوير العالم في صورة مثالية، بعيداً عما يعانيه الإنسان في واقعه الفيزيقي، ولا يتشكل ذلك إلا بتحفيز الخيال على رسم عالم مستقل، تعمل الذات الكاتبة على تجميعه بريشة أدبية قادرة على تشكيل نسيج نصي ذي متاهات لغوية خاصة.

وخلال تلك الجولات الروحية في ملكوت الغيب، يستطيع الصوفي استحضار الأولياء من الشيوخ، عبر التراسل الروحي بينه وبين من يشاكلة في المذهب والصورة، خاصة في لحظات بأسه وانهيائه، مثلما وجدنا ذلك مع ابن عربي الذي قام بسلسلة من الحضرات الغيبية، ناقش خلالها ما استشكل عليه من العلوم والمفاهيم: «كلما أظلم الليل أرسلت قلبي إلى من شاء أن يكون في حضرته تلك الليلة حيا كان أم ميتاً. التقيت بكل شيوخه الذين أحب لقاءهم. السهروردي في بغداد. الكومي في سلا. والسبتي في مراكش. والغوث في تلمسان. بل إني حضرت مع الخياط والحريري في الخانقاه وجلست معهم بقلبي وجسدي في السجن» (حسن، 2016، صفحة 397)، ولعل هذه من كرامات الله على أوليائه، الذين اختاروا طريق وصاله دون غيره، وأحبوا لقاءه بمعرفة قدرته، واستطاعوا إدراك كينونته بالتأمل في مخلوقاته، فيهديهم بذلك بعضاً من قدرته، ويمكّنهم من كثير مما أخفى عنهم. وتبقى هذه الكرامات على اختلاف بروزها تيمة مركزية عند كل المتصوفة، يفتخرون بنيلها، ويسعون جاهدين إلى طلب المزيد، كلما كان التدرج في الصعود إلى طبقات عليا من اليقين متاحاً ومسموحاً.

5. جماليات التعالق المشهدي بين خطاب الصورة وخطاب الروح في رواية "موت صغير":

لقد أتت رواية "موت صغير" مشهداً كونياً، ولوحة فنية بارعة الجمال، اجتمعت لتشكيلها العديد من الخطابات ذات التوجه الواحد، والمتمثل في وصف حالات النفس في سكوتها وحركتها، وصفا عرفانياً، يركز على العلاقة الجامعة بين الإنسان وذاته أولاً، ثم الإنسان ونقيضه ثانياً. ولا يخفى أن الخطاب الصوفي في إحدى مركزيته يهتم بوصف رحلة الروح في مدارج التكمّل والتجمل، فيركز على وصف المسارات الروحية طيلة مسار الرحلة القلبية، وغالباً ما يأتي ذلك الوصف مكتنزا بالمصطلحات الغامضة، كون التجربة مبهمة شاقة الفهم والتصوير. على عكس الخطاب الرحلي الذي يتميز بالانفتاح وحرية التجول بين العلوم المختلفة، والتي تسمح له بالفضفضة والاقتباس، إذ تمنح الكاتب «حرية قلماً تتوافر في الأشكال الأخرى من الفنون الأدبية، وهي حرية اختيار المشاهد والحوادث، وحرية إسباغ ثقافته وقدرته الإبداعية النثرية أو الشعرية على ما يكتب أو يريد أن يكتب» (المدني، 2003)، فالاجتماع هنا يستدعي التشارك

المحمود بين الوصف الداخلي للذات المتصوفة والوصف الخارجي للمحيط، والذي يصاحب الرحالة في تجواله الدائم بين الأقاليم والمدن.

والكاتب سار وفق هذا المنوال في استعراض المشاهد وبسطها للقارئ طيلة مسار الرحلة التي تقلدها ابن عربي في عديد المحطات والمنعرجات الروحية التي وضعته -في كثير منها- موضع الاختبار والمساءلة، هذا إذا انطلقنا من فكرة الانصهار التام بين الذات الرحالة والذات الصوفية، فالصوفي في هذه الرواية لم يتملص من مهمة نقل المشاهد وتوثيق الصور واستعراض العادات والتقاليد ووصف المدائن وهندستها، فهو في بحثه الدائم عن الأوتاد الأربعة، حاول تسليية نفسه بمعايشة الغريب والعجيب من المناظر، واستقراء وتحليل القيم والجوانب المادية والروحية «التي تشكّل بدورها الأسلوب الحياتي للناس ومعلمهم التراثية» (نوال، 2008، صفحة 159) في تلك الفترة الزمنية المعروفة بتاريخها الدموي، أيام ضعف الدولة الإسلامية وانحطاطها. وسنحاول في الجدول أدناه استعراض المسار التسلسلي الذي اختاره الرحالة طريقاً روحياً له لاكتشاف ذاته واستكناه العلاقة بين حاضره ومستقبله، بلغة شعرية تستمد قوتها من القاموس اللغوي القديم:

الوجهة	الاقتباس	الصفحة
قرطبة	انطلقنا في قافلة طويلة إلى قرطبة فيها رسل من الوالي يحملون رسائل وأموالاً وبضائع، وتجار صغار لا يملكون كبيرة فيستغلون قوافل الوالي ليحتموا بها.	117
مراكش	وأنا أقول لك كن في مجلسي هذا لا تبارحه، وارحل معنا إلى مراكش. خفق قلبي بشدة وأنا أجيبه كأته بشري: سمعا وطاعة.	168
فاس	سرنا إلى فاس سيراً حثيثاً. لا نتوقف إلا إذا غابت الشمس ثم نحث السير بعد بزوغ الفجر مباشرة.	172
بجاية	وأبحرنا رحلة أطول من رحلتي الأولى بين الاندلس والمغرب، والريح أشد، والمركب أقل صلابة وقوة من مراكب الخليفة التي رحلت فيها أول مرة.	192
مصر	أخيراً صارت الاخبار التي تردنا من مصر أقل تهويلاً. بدأنا نتحين الفرصة للرحيل القريب.	264
مكة	انخرطت مع بدر في قافلة تقطع سيناء في طريقنا إلى مكة. جلّ من معنا جنود يحركهم الملك العادل بين مصر والشام ليثبت أركان الدولة في قطبها الأهم.	295
دمشق	فكر بدر قليلاً ثم قال: دمشق.	364
بغداد	قليلة هي المدن التي تحوز أسوارها أول مرة فتشعر أنها كانت تنتظر وصولك. تلقي على خطواتك الأولى عتاباً مشوباً بالحنين وشوقاً محفوفاً بالرضا. هكذا استقبلتني بغداد وأنا واحد بين المئات حملتهم القافلة إلى هنا غير أنني شعرت أنها حيتني وحدي تحية المدن السخية للغرباء المتعبين.	409
ملطية	اليوم بعثت سودكين وبدر إلى السوق ليشترى عدة السفر إلى ملطية ويستعلما عن خير القوافل فخلا عليّ البيت. وتجادبتني لأول مرة رغبتان متضادتان بأن أبقى وأن أرحل.	437

6. خاتمة:

صفوة القول أن الرحلة الصوفية امتزاج كوني بين الحقيقة والخيال، أبدعها الصوفي لتشكيل عالم إبداعى صرف، لا تشوبه شائبة النقص أو الخطيئة، كلها نفحات صوفية تسمو بالإنسان إلى غياهب كونية مختلفة، يحتل فيها المكان دورا مهيمنًا، إذ يعد المادة الخام التي يجب احتواؤها في أي عمل أدبي - رحلي كان أو روائي- يعبر عن الحركة المستمرة والانتقال الدائم بين أفضية زمنية معينة؛ باعتبار أن المكان «في الرحلة نسيج قاعدي ومتحرك يستقطب مولدات أخرى من داخله وذرائع لاسترجاع المقدس أو المندس في البعد التاريخي والحضاري. وفي الممارسات الأخلاقية، كما يستقطب الحكى عن المشاهدات والانطباعات، فيصبح المكان مشكلا ومعادا في تشكله من الرؤية والرؤيا ومن السماع والمقروء والاستيهامي، لاحتواء النص الرحلي على مواضيع لا وجود لها، وعلى رؤية وهمية لأماكن موجودة فعلا، وعلى أحداث وهمية في مواضيع موجودة فعلا» (شعيب، 2002، صفحة 329)، فتعمل الذات الكاتبة على تجميعها بريشة أدبية قادرة على تشكيل نسيج نصي ذي متاهات لغوية خاصة، تتخذ أشكالا متعددة للإفصاح، وكلها حوافز تخيلية تطمح إلى تصحيح الواقع، بكشف خباياه، عن طريق الترويج إلى وجود عالم مثالي يفوق كل تصور أو تفكير. تصل رحلة البحث في موضوع الدراسة محطتها الأخيرة، وفي ختامها نُسجّل مجموعة من النتائج نعرضها فيما يلي:

- الرحلة الصوفية تراوج كوني بين الحقيقة والخيال، أبدعه الصوفي لتشكيل عالم متناسق الأطراف، متكامل الأجزاء، يحتل فيه السفر دورا مهيمنًا، إذ يعد واسطة العقد التي يجب احتواؤها في أي عمل أدبي -رحلي كان أو روائي- يعبر عن الحركة المستمرة والانتقال الدائم بين أفضية زمنية مختلفة.
- لقد ارتكزت أحداث رواية "موت صغير" على عنصر الرحلة، باعتباره نسقا نصيا مهيمنًا على كامل أجزاء الرواية الداخلية، استدرك الكاتب من خلاله المشاهد الروحانية التي تغزو عالم الصوفي الداخلي، فتنتقله في معراج روحاني إلى آفاق سماوية متعالية، ومسارات أرضية متباعدة، ليكشف أكثر عن أسرار تلك الطرق والمذاهب الفكرية.

- لقد حاول الكاتب استجلاء حياة الصوفي والمعاناة التي يتلقاها، برموز لغوية دالة، تحيل إلى الماضي العتيق حيث الأسماء المعروفة بتاريخها الصوفي الحافل، من باب التناص الديني مع مختلف الشخصيات التاريخية، كذلك حاول المؤلف تصوير حياة الرفاهية الروحية في ظلال الحضرة الإلهية، من خلال كشف بواطن التفكير التي تظهر جلياً في الحوارات المنولوجية بين البطل ونفسه، وبين البطل ومريده أثناء التنقل والسكون.

وما نوصي به في نهاية بحثنا؛ ضرورة الاهتمام بأدب الرحلة العربي كجنس أدبي يستحق العناية والدراسة، وربط تلك الدراسات بالحركات التجريبية التي طالت جميع الأجناس الأدبية الأخرى، لاكتشاف جماليات التعالق والتهجين، بين مختلف الخطابات الأدبية وغير الأدبي.

7. قائمة المراجع:

- عوض إبراهيم، (2014)، في التصوف والأدب الصوفي، مكتبة جزيرة الورد، مصر.
- خوالدية أسماء، (2014)، الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة والإغراب قصدا، دار الإيمان، المغرب.
- الضبع محمود، (2010)، الرواية الجديدة قراءة في المشهد العربي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
- خفاجي عبد المنعم، (د.ت)، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب، مصر.
- علوان محمد حسن، (2016)، موت صغير، دار الساقى، لبنان.
- روقاب جميلة، (2020)، النظام السردى في الأدب الرحلى لأبي القاسم سعد الله "رحلتى إلى المغرب" نموذجاً، مجلة جسور المعرفة، المجلد 6 (ع 1)، صفحة 199-208.
- شبهون عبد الملك، (2010)، الحساسية الجديدة في الرواية العربية، دار الأمان، المغرب.
- حليفي شعيب، (2002)، الرحلة في الأدب العربي، شركة الأمل، مصر.
- رواق عثمان، (2020)، جماليات الرواية الصوفية في رواية سفر السالكين لمحمد مفلح، مجلة قراءات، المجلد 12 (ع 1)، صفحة 224-244.
- قادة محمد، نصيرة بحيري، (2021)، إشكالية التداخل الأجناسي بين الأدب الرحلى والأدب الروائي، مجلة (لغة-كلام)، المجلد 7 (ع 1)، صفحة 213-222.
- الشوابكة نوال، (2008)، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المامون، الأردن.